أبي آبي

قصيدة رثاء لوالدي كانون الثاني ١٩٨٦

أبـــي مكانـــك مـــلء القلـــبِ والكبـــدِ ... فكيـف ترحـل عـن عينـي إلـى الأبـدِ
أرى الكواكـــب عـــادت بعـــد أن غربـــت ... وأنـــت وحـــدك مطلـــوب ولـــم تعـــدِ
غـــدا مناســـبة المـــيلاد قادمـــة ... ولـم تغـب عـن صـلاة العيـد والأحـد
أبـــي فراقـــك صـــعب لســـت أفهمـــه ... ولـــيس يهضـــمه عقلـــي ومعتقـــدي
نفســي تكــذب نفســي فيــك يــا أبتــي ... فـــلا تصـــدق مـــا لامســـته بيـــدي
مضـــيت كـــالومض والأيـــام بعـــدك قـــد ... طالـــت علـــي كمـــا طالـــت علـــى لبـــد
أمســـي وأصـــبح والنســـيان لـــم يفـــد ... أغـــدو وأرجـــع والســـلوان لـــم يـــرد
ذكـــراك تكـــوي فـــؤادي دائمـــا أبـــدا ... ومـــا يقينـــي لظاهـــا أمـــتن الـــزرد
أبـــي قســـوت كثيـــرا إذ رحلـــت فمـــا ... أبقيـت مـن مـدمعي شـيئا ومـن جلـدي
تـــأبى الأبـــوّةُ أن يُقســـى علـــى ولـــد ... فعـد إلـي وقـل : هـا عـدت يـا ولـدي
جرعـــت مـــن قـــدح الآلام علقمـــه ... وســـرت للقـــدر المحتـــوم كالأســـد
قـــد ذاب جســـمك حتـــى شـــع مؤتلقـــا ... وصـرت روحـا وحـل الـروح فـي جسـدي
فمـــا أُشَـــرّق إلا كنـــت باصـــرتي ... ولا أُغَـــرّب إلا جلـــت فـــي خلـــدي
أفـتش البيـت دون الـوعي عنـك عسـى ... ألقـاك فـي غرفـة تمشـي بـلا سـند
فـــلا أصـــادف إنســـا فـــي جوانبـــه ... وفـــي ســـريرك لـــم أعثـــر علـــى أحـــد
هـــذي مخـــدتك البيضـــاء ســـاهمة ... سـوداء بعـدك تقضـي الليـل فـي نكـد
هـــذي مجلتـــك الغـــراء قـــد وصـــلت ... فكيـف تعـرض عـن أخبارهـا الجـدد ؟
هـــذا الكتـــاب الـــذي قـــد كنـــت تقـــرؤه ... مـن قبـل يـومين يبكـي اليـوم مـن كمـد
أبـــي عرفتـــك جـــود الأرض فـــي رجـــل ... والآن تمضـــي مضـــيئا زرقـــة الجلـــد
كنـــت المحـــدث والعقـــال مصـــغية ... حـــديثك العـــذب شـــدو الطـــائر الغـــرد
كنـــت المســـيحية الســـمحاء يـــا أبتـــي ... فعشـــت للحـــب والإيمـــان فـــي البلـــد
كنـت المعـزي فـي الأحـزان إن عظمـت ... كنـت المنـادى لمـا استعصـى مـن العقـد
جـــاء المعـــزون.. لـــم أبصـــرك بيـــنهم ... وهالنـــا الخطـــبُ مـــا وافيـــت بالمـــدد
مـــاذا ؟ أيعقـــل هـــذا عاقـــل ولقـــد ... كنـت السـريع إلـى الجُلّـى مـدى الأمـد
مـــاذا أقـــول لمـــوت فـــاجع بكـــم ... أدمـــى الفـــؤاد وأبلـــى العـــين بالرمـــد ؟
أقـول : يـا مـوت يـا مـن أجرمـت يـده ... عقابـك المـوت عنـد العـادل الصـمد
فكيـف قلـت : إذا مـا حـان موعـده ... أهـــلا وســـهلا بـــه والحمـــد للأحـــد
أبـــي فراقـــك صـــعب لســـت أفهمـــه ... ولـــيس يهضـــمه عقلـــي ومعتقـــدي

كـــل الجمـــوع تقـــول : الله يرحمـــه ... فـــلا يصـــدق ســـمعي كثـــرة العـــدد
أبـــي ســـيأتي إلينـــا فـــي الصـــباح غـــدا ... فـــإن تـــأخر فالميعـــاد بعـــد غـــد
فالصـــوت فـــي أذنـــي والوجـــه فـــي هـــدبي ... القـــاه فـــي كمـــدي ألقـــاه فـــي رغـــدي
مـــا دام يحيـــا أبـــي فـــي خـــاطري فـــإذن ... الله يـــرحم لـــم تـــنقص ولـــم تـــزد
مـــا دام يحيـــا لـــدى الفـــادي مخلصـــنا ... فلتحـــي قلبـــي بـــلا حـــزن ولا حـــرد
مـــا للمنيـــة مـــن بعـــد الصـــليب أذى ... قـــام المســـيح وراح المـــوت كالزبـــد
إن باعـــد المـــوت فيمـــا بيننـــا زمنـــا ... فـــالرب يجمعنـــا فـــي روحـــه الأبـــدي